فترى من هذا المثال منزلة هذا الكتاب وبذل العنايه في تعميم فوائده في طبعه اذا تمت اجزاؤه . ومن الغريب ان من هذا الكتاب نسختين في دار الكتب الخديويه وكل نسخه منهما تحوي الجزء الاول والتي عددها ٧٦٩٧ تامه والتي عددها ٧٦٩٨ ناقصه الاخر لكن فهرست الكتب المذكورة لم تذكر سنه كتابتهما . ولعل ذلك ناجم من اهمال التاريخ فيهما . وبهذا القدر كفايه .

التشبيهات العامية

اصبحت اللغه العربيه تضم بين دفتيها امماً شتى متبعثرة في كل صقع: من اقاصي الهند وما يليها شرقاً، الى اقصى بلاد الغرب وبحر الاد رياتيك غرباً، لا بل تعدت عباب الاقيانوس، ونثرت بذورها الحيه في اميركا، فاصبحت موضوعاً من المواضيع التي تستحق البحث ، لاسيما وان اللغه خزانه تكثر تحت اغلاقها آثار الامه وافكارها ، ولولا تقيد خواطر الامم بالاخبار ، وتدوينها في الكتب التي هي وسيلة لفهم اضاعت الامم كلها باسرها ؛ فهي اوسع عبيه لاخلاق الامم ومعارفها ، واعدل شاهد على الناقص والوافر من الناطقين بها .

نرى صفاً من العلماء قد واصلوا الخطى ، واجهدوا دقائق الدماغ تفكراً وسعياً وراء العلوم الطبيعيه ام الاختراعات الحديثه ، وطلباً لمصادر الثروة ، وتقريباً لاسباب المعيشه وتسهيلاً للنقل ، وتخفيفاً للاثقال ؛ ونرى امامهم صفاً آخر ليس بالقليل يفتش اعماق الصخور ، وينقب في اجواف الكهوف، عن كله من لغه الامم البائدة ، او عن سطر من اسفارها ، طلباً لتوسيع المدارك واختباراً لحالات الامم البائدة وتصفحاً لاخبارها وآثارها من اخلاق وعلوم وعادات .

على ان علماء هذا اليوم لم يوجهوا انظارهم الى ما تقادم عهده من الامم الهالكه المنقرضه ، ولغاتها ، وآدابها ، وتاريخها ، بل حولتها ايضاً الى لغات اقوام هذا العهد الحيه ، واخذت تعارضها بما سبق مثاله منها . لتعرف اسرار

الغابرين من وقوفها على دخائل المعاصرين . فنهض لهذه الغاية من جميع الامم قوم من اهل السعي والاقدام ، ونثلوا كنانة وسعهم ورآه تحقيق هذه الامنية ، ففازوا بالسهم المعلى منها ؛ وهانحن اولاء نقتفي آثارهم في وضع حجر في اساس لغتنا الشائقة العامية ، تلك التي اختصم في امرها اقلام تلة من الكتاب ، تختلف ارآء اصحابها بعضها عن بعض . فقوم يظن انها كانت قبل الاسلام أسيرة خدرها قد اشتبكت على حجلها الاطناب ، فعاشت بعيدة عن عوامل النحت والتحريف ، نائية عن فواعل القلب والتصحيف ؛ بل اصبحت في منحى لا يصل اليه التغير ، ولا يتطرق اليه الفساد . كيف لا وهي لغة نشأت بين قوم لم يألفوا الا البهائم والقفار ، ولم يعرفوا سوى المغاور والكهوف من الامصار ، حتى قال قائلهم : (ليس ورآء عبادان قرية) . ولهذا قال اصحاب هذا الحزب ان اللغة العامية ليست واللغة الفصيحة بتوأم ، بل هي اخت صغيرة لها ، نشأت بعد ان قطعت اختها البكر نصاباً من العمر او مئين من السنين .

وهناك حزب يرى انهما رضيعتا لبان ، نشأتا في مهد واحد ، وترعرعتا في حضن واحد ، وان اللغة العامية برأسها قديمة بقدم اللغة الفصحى .

وربما ينضم الى الحزبين حزب معارض وهذا صوته : ان اللغة العامية ان اريد بها نتائج التحريف والقلب والتصحيف فهي قديمة لوجودها في لغة الناطقين بالضاد منذ الزمن الاول ، ولانه لا يمكن للغات كلها ان تخضع لقانون عام ترسف بقيوده ، وليس غرض الناطق الا ما يدل على المقصود ؛ فيردد ما يخف على الشفاه ، ويسهل على اللسان ، فيضطر حينئذٍ الى التصحيف والتحريف ؛ وحسبنا شاهداً على ذلك ان اللغة العامية في الاول كانت مقصورة على النادر والشاذ ، ثم نمت هذا النمو المدهش ؛ ولولا ان خطة البحث هنا اضيق من سم الخياط ، لسردنا عليك ادلة جمة مقنعة . وان اريد بالعامية ما اشتملت على الدخيل ، وما حط بفنائها من النزيل ، فهي ليست بقديمة كما هو مذهب الحزب الاول والشواهد هي أدلتهم .

ولقد تتبع الباحثون عن لغتنا الفصحى ، فكانت نتيجة استقرائهم قوانين

ونواميس قد عمت مفرداتها ومركباتها ، فاودعوها مجلدات ضخمة ، هي المعاجم وكتب النحو والصرف واسفار المعاني والبيان والبديع ،ولو قيض للغتنا العامية نقاب يستقرى كلماتها ، وينقب عن دقائقها ، لعرف ان في الفرع ما في الاصل ، بل وزيادة . ولا يلبث ان يرجع تمثلي الحقائب من تلك النواميس الوضعية . فان من عرف ان تلك القوانين ليست بالطبيعية ولا العقلية ولا يمكن التملص منها بل هي وضعية ناتجة عن قياس : كبراه الاستقراء ، وصغراه الاغلب ، آمن بان لغتنا العامية قابلة للخضوع لتلك القوانين عينها . اما الاعراب فلا يستطاع ادخاله فيها كما هو في اختها لان السكون سائد عليها فلا تجد حركة في آخر كلمة منها ، ولكن النحو مستطاع لمعرفة الفاعل والمفعول وجملة من مسائل النحو بطريقة اخرى ، عسانا ان نطرق موضوعها بعد البحث والتنقيب . واما البديع فهو باغلب انواعه موجود فيها كالجناس والاسجام والاقتباس والاستعارة والتلميح والتشبيه الذي هو موضوع البحث .

فالتشبيه ،وبعبارة اضبط :القياس او المقارنة موجود في لغتنا العامية ووجوده في اختها وسأفرغ الوسع في رسم التشبيهات بنصها ومنطوقها ،ولا اعرض للتشبيهات المبتذلة فانها لا تصلح لان تكون غذاء للفكر ، ولا مورداً للاقلام ، وانما اذكر الشائعة منها ، والجارية مجرى المثل ، وانت تعلم الفرق بين التشابيه والمثل. فالمثل توقيفي ، وهي ليست بتوقيفية ، وربما التقينا على مادة البحث بصاحب الامثال العامية وافترقنا بسلام . وبعد هذا التمهيد اقول :

ادوات التشبيه في لغتنا العراقية العامية ثلاث : (مثل) (وجنه) بالجيم المثلثة الفارسية ونون مفتوحة وهاء ساكنة ، اصلها كانه وقد اعتاد بعض العراقيين قلب الكاف جيماً كما مر الكلام عنه في هذه المجلة ، والاداة الثالثة المصدر المدخول عليه اداة تشبيه محذوفة . فاذا علمت ذلك اذكر لك الآن ما يقع في حفظي من التشابيه ، فمنها قولهم :

(مثل الزيبك لا يطير بعيد ، ولا ينلزم بالايد)

الزيبك كثير الاضطراب ،عنه ما يستق من معدنه ،ومنه ما يستخرج من حجارة معدنية ، واصل اللفظة زئبق ،والعامة تبدل القاف كافاً فارسية مثلثة كما مر الكلام

عنها في غير هذا الموطن ؛ وتبدل الهمزة ياء كما في سائل ومائل فتقول فيهما (سايل ومايل) والزئبق بفتح الباء وكسرها فارسي معرب . (ابيد) بهمزة مكسورة كسراً غير بين ، وسكون الباء وهو بعيد فعيل بمعنى فاعل ، زادوا عليه الهمزة هرباً من الابتداء بالساكن . (يلزم) بفتح الياء وسكون النون وكسر اللام والزاء وسكون الميم وهو مضارع الفعل الزم افعل من لزم ، ولزم في اللغة يأتي بمعنى ثبت ودام واما العوام فيستعملونه بمعنى مسك وقبض . وزادوا في اوله النون اشارة الى عالم يسم فاعله ، فانهم اذا أرادوا بناء الفعل للمجهول حملوه على وزن انفعل كما في قولهم انقتل ينقتل وانضرب ينضرب ، وليس عندهم بناء للمجهول في غير انفعل الا ماندر . وهذا النادر هو وزن تفعل واتفعل .

والايد . اليد . وعدم بعد الزبك كناية عن اضطرابه المتواصل وهي وجه الشبه وقد قصد ابو تمام هذا التشبيه في الزئبق ، فقال :

وتنقل من معشر في معشر فكأن امك او اباك الزئبق

واورده المتنبي في قوله :

ادرن عيوناً حائرات كانها مراكة احداقها فوق زئبق

وهذا التشبيه يذكر لمن يكون قريب المنال وعزيز الحصول عليه وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وتشبيه حالة بحالة . ومن هذه التشابيه الخاصة باهل العراق قولهم :

(الطول طول النخلة ، والعقل عقل الصخلة)

الطول : بكسر الالف كسراً غير بين ، وحذف اللام لفظاً ، وواو ولام ساكنتين ، معروف . طول ، بطاء مضمومة بعدها واو ساكنة يليها لام متحركة مشتركة هو ايضاً . بالمعنى المشهور . النخلة بالضبط المتعارف واللام المفخمة هي بمعناها المألوف . والعقل بالضبط المشهور ولفظ القاف الصريحة كافاً مثلثة فارسية واللام الساكنة . وعقل الثانية ، مثل الاولى مع تحريك اللام بحركة مشتركة والصخلة ، وزان النخلة . مع تفخيم اللام في كلا اللفظين . والصخلة تصحيف السخلة وهي العنزة عند اهل العراق ، تأنيث السخل وهو التيس عندهم .

والبحث عن ادراك الحيوانات وتعقلها امر لا حقيقة له الا عند اصحاب

الخرافات وواضعي الامثال على السنة العجماوات . فانهم قد فعلوا ذلك بغية اصلاح الانسان لاغير . ومهما يكن من هذا الامر وآراء الماديين والروحانيين فيه، فاننا لا ننظر اليه هنا الا من جهته عند اهل البديع . فان هذا التشبيه يضم تشبيها آخر على حد طريقة التشبيه المركب في اصطلاح علماء هذا الفن. اما اول التشبيهين فلا يتضمن شيئاً يوجب الالتفات. واما الثاني ففيه فائدة لان العامة تقول: عقل صخل ،وعقل اصخول (= صخول) وتريد به احد الوجهين . وهما: اما لان المعز اشتهرت عند العرب بالغباوة — وهو مما لم يثبته الواقع اثباتاً لا يبقى مجالاً للريب — فانهم اذا ارادوا التعريض بجهله وظلمة عقله قالوا : هو تيس . واذا ارادوا الغاية في الجهل والغباوة قالوا : ما هو الا تيس في سفينة . فاخذت ذلك العامة وشبهت به البليد . — واما انهم يطلقون لفظ الصخل ولا يستعملونه في معناه الحقيقي بل هو عارية عندهم للزنجي لما بين لوني هذين المخلوقين من المشابهة في اللون . او لتوحش الزنوج وهمجيتهم .

وهذا التشبيه يساق لمن كبرته المناظر،وصغرته المخابر، فالرائي يرى المرئي طوله كطول النخلة وعند الاختبار لا يرى فيه من العقل ما يزيد على عقل السخلة . وقد حذفت العامة اداة التشبيه واقامت المصدر مقامها كما في قولهم : تمر مر السحاب . ومن تشابيههم قولهم :

(مثل البعير، يشيل شكره ويا كل عاكوله)

(ضبط الالفاظ ومعانيها) البعير ، يكسر الباء عندهم دائما ولا يفتحونها البتة . وهي لغة قديمة في العراق وغير هذه الديار . قال عمر بن خلف بن مكي : « كل فعيل وسطه حرف حلق مكسور ، يجوز فيه كسر ما قبله ، او كسر فائه اتباعاً للعين في لغة تميم ،كشعير ورحيم ورغيف وما اشبه ذلك، بل زعم الليث : ان قوماً من العرب يقولون ذلك وان لم تكن عينه حرف حلق ككبير وجليل و كريم . » . — والبعير للذكر من الابل . ويسمون الانثى ناقة (بلفظ القاف كافا فارسية منلثة) وبعيرة .

(يشيل) مضارع شال ومعناها عندهم رفع وحمل . وهي ماخوذة عندهم

من شالت الناقة بذنبها : رفعته. وشال الذئب نفسه اى ارتفع متمدد ولازم. (شكر) سكر . وهى لفظة قديمة فى الفارسية من اصل سنسكريتى . والسكر عند الفرس قسمان : قسم طبيعى وهو ماء القصب (وقصب السكر وهو الابلوج وهذه ايضاً من اصل فارسي واللفظة العربية هى المصاب ، بضم الميم .) وقسم صناعى، وهو يكون اجزاء صغيرة متبلورة ذات اشكال هندسية مختلفة الهيئة من مثلثة ومربعة ومستطيلة . ولم نجد لكلمة سكر مرادفاً عربياً صرفاً فى ما وصلت اليه ايدينا من الكتب . ولا جرم انها دخلت لغتنا باحتكاك ابناء العرب بابناء الفرس. وشكر (وزان سبب) تخفيف شكر الفارسية (وزان زفر وقبر اى بضم وفتح فى الاول . وضم وفتح بتشديد فى الثانى) (وياكل) غير مهموزة وهى لغة فاشية عندهم . (وعاكول) بكاف مثلثة النقط او قاف هو العاقول، النبات الشائك المشهور الذى تاكله الابل وهو دائم الخضرة ينبت فى الاراضين الرملية وعلى ضفاف الانهار . وجميع الفاظ هذا التشبيه ساكنة الاخر الا كلمة (مثل) فلكون وزنها ال التعريف تحرك بحركة مختلسة مشتركة اللفظ بين الكسر والضم .

يساق هذا التشبيه لمن يجلب المال الكثير بانواع الكسب، وعليه فهو « يشيل شكر » ويقنع بالعيش الوبيل فهو « ياكل عاكول » . وهذا من باب تشبيه غير المحسوس بالمحسوس وتشبيه حالة بحالة وكأن لغتنا الفصحى لم ترض لاختها الانفراد بهذا التشبيه فشاركتها بقول الشاعر :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

النجف (عش)

باب المشارفة والانتقاد

١ سبل الرشاد (مجلة بغدادية)

« مجلة دينية علمية اجتماعية فلسفية تاريخية » تصدر فى الشهر مرة